

مكتبة الاطلس الحديسة

رحلات القنصيون

في قلب افريقية

اد. سلسلة الرحلات الجغرافية



اهداءات ٢٠٠٣

أسرة /محب الرزاق باشا السنهوري
القاهرة

مكتبة الأطفـال الحديثة

رحلة القنجستون

في قلب افريقية

١- سلسلة الرحلات الجغرافية



دافيد لفنجتسون الرحالة الافريقي

ان أجد اسم في تاريخ كشف افريقية ، افريقية التي
أطلق عليها القدماء اسم القارة المظلمة ، القارة التي لم يكن
يعرف أحد شيئاً عن مجاهلها وعن أسرارها ،
إن أجد اسم من بين رؤاها هو دافيد
لفنجستون الرحالة الأنجليزى .
وليس لفنجستون عظميا لاكتشافاته الجغرافية
فقط ، بل لما امتاز به من شخصية قوية جعلته معبود
أهل افريقية ، بل ان خدمته للانسانية جليلة رائعة فقد

أوقف تلك التجارة المنكرة ، تجارة الرقيق ، ثم انه فتح
أبوابَ افريقية وكنوزها الاقتصادية للعالم فأضاف
كثيراً الى الثروة العالمية

بدأ لفنجستون رحلاته كمبشر في جنوبي افريقية ،
وكان في بادئ الامر رفيقا لمبشر آخر هو روبرت
موفات ، الذي رحل الى افريقية عشرين عاما قبل
لفنجستون .

في عام ١٨١٠ استوطن موفات كورومان بين نهر
القال وصحراء كالاهارى ، في مكان يبعد سبعة

ميل من مدينة الرأس وكان موفات يقوم بتعليم قبائل
البشوانا ، وعدا ذلك فكان يجيد الطباعة ، وفلاحة
النساتين والحداة ، وتساعده في ذلك زوجته
وفاته ماري .

وفي عام ١٨٤١ هبط لفتنجستون افريقية وعاش مع
موفات وهو اسكتلندي مثله ، وسرعان ما أحبه الوطنيون
وكان اذ ذاك في الثامنة والعشرين من عمره ، فتعلم لغتهم
وتطبع بعاداتهم فقربه ذلك الى نفوسهم ، ولما كان بحكم
مهنته طبيبا ، فقد ازدادت مكانته وأهميته عندهم .

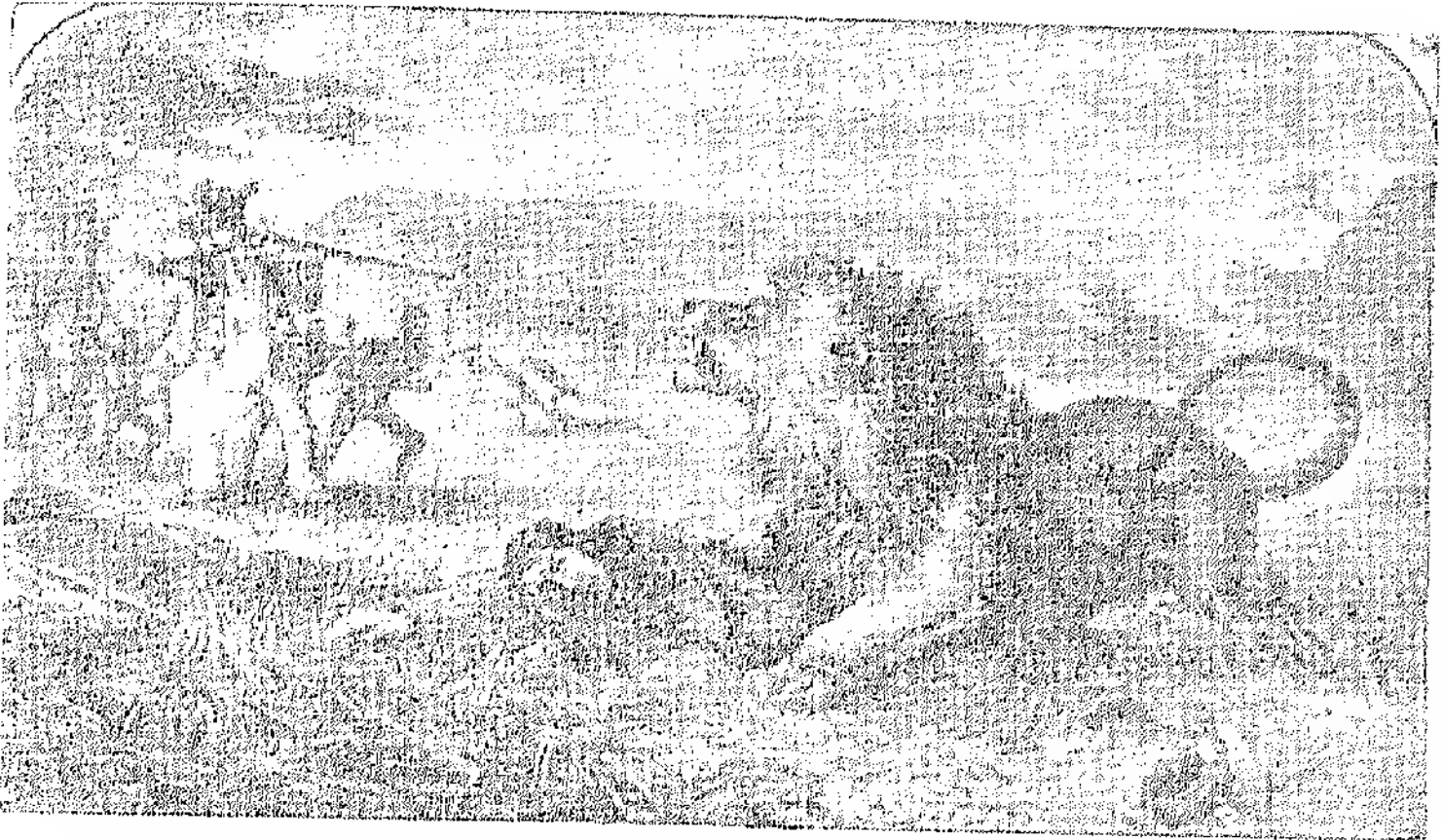
وكان لفنجستون صائداً ماهراً ، مقداماً شجاعاً .
حتى انه أصيب ذات مرة اصابة خطيرة من جراء هجمة
أسد عليه ، اذ خرج للصيد في مكان يبعد مئتي ميل
عن كورومان .

وهذه المنطقة كانت عُرضَةً لغارات الأسود على
زرائب البقر ، لهذا خرج لفنجستون مع جماعة من
الاهلين لصيدها ، وبينما هو كذلك إذ رأى أسداً مُقعياً
على صخرة تبعد عنه خمسة وعشرين متراً ، فما أسرع أن
أطلق مقذوفين من بندقيته أصابت الاسد اصابة قاتلة ،
ولكن ذلك هاج ثورة الحيوان الجريح فوثب عليه

وقبض على كتفه وألقاه تحت أقدامه .

وهذا مادونه لفنجستون في مذكراته بعد ذلك :
« لقد كان الأسد في ثورة هائلة ، فأخذ يهزني هزا عنيفا
كما يهز كلبُ الصيد الفأر . فأصابني اغماء أشبه شيء
بذلك التي يُصيب الفأر إذا أمسك به القطة : ثم انه أنشب
أظفاره في مؤخر رأسي . . . » وفي تلك اللحظة ، أطلق
أحد الاهالي بندقيته على الأسد ، فترك الأسد لفنجستون
وهجم على العدو الجديد وعضه في فخذه .

ثم قذف رجل آخر من الجماعة جريته نحو الأسد ،
وكان هذا الرجل قد اتقذه لفنجستون فيما سبق من إصابة



جاموس ، فتحول نحوه الأسد وأنشب أظافره في
كتفه ، ولكنه ما كاد يفعل ذلك حتى سقط ميتا في
مكانه . وذلك أن أصابته الأولى كانت قاتلة ، ومع ذلك
فلم تسكن ثأثرته حتى نكل بثلاثة رجال .
وكان من جراء هذا العراك أن تهشمت ذراعُ

لفنجلستون اليسرى من السكتف الى المرفق ، فاستبدلها
بفصل صناعى ، وكان لفنجلستون الى آخر حياته يتألم
من ذراعه هذه .

وفى العام الذى تلى هذا الحادث تزوج لفنجلستون
مارى موفات ابنة موطنه . وفى عام ١٨٤٧ انتقل الى
كولوينج مصحوبا بعائلته المكونة من ثلاثة أبناء وفتاة ،
ولم يكن ذلك المكان خصبا وفيرا ، حتى انهم كانوا فى
أيام الجفاف لا يجدون ما يقتاتون به

ولقد كانت حياتهم ضنكة شديدة ، حتى انهم فى
بعض الأحيان كانوا يأكلون الجذور بدلا عن الخبز .

كما كانوا يأكلون الجراد ، الذي قال عنه لفتجستون انه يشبه « جراد البحر » اذا ما قلى على النار . وفي بعض الأحيان كان الأطفال يطعمون أنواعا كبيرة من الشرائق وكانوا يستسيغونها . أما ما كانوا يعتبرونه طعاما ممتازا ، فنوع كبير من الضفادع يبلغ طوله نحو نصف قدم ، ذو أقدام طويلة خلفية تبلغ هذا القدر ، واذا ما طهيت كانت تشبه الفرخ .

أخبر بعض الأهالي لفتجستون وقد قدموا من صحراء كالاهارى ، ان فى قلب الصحراء بحيرة

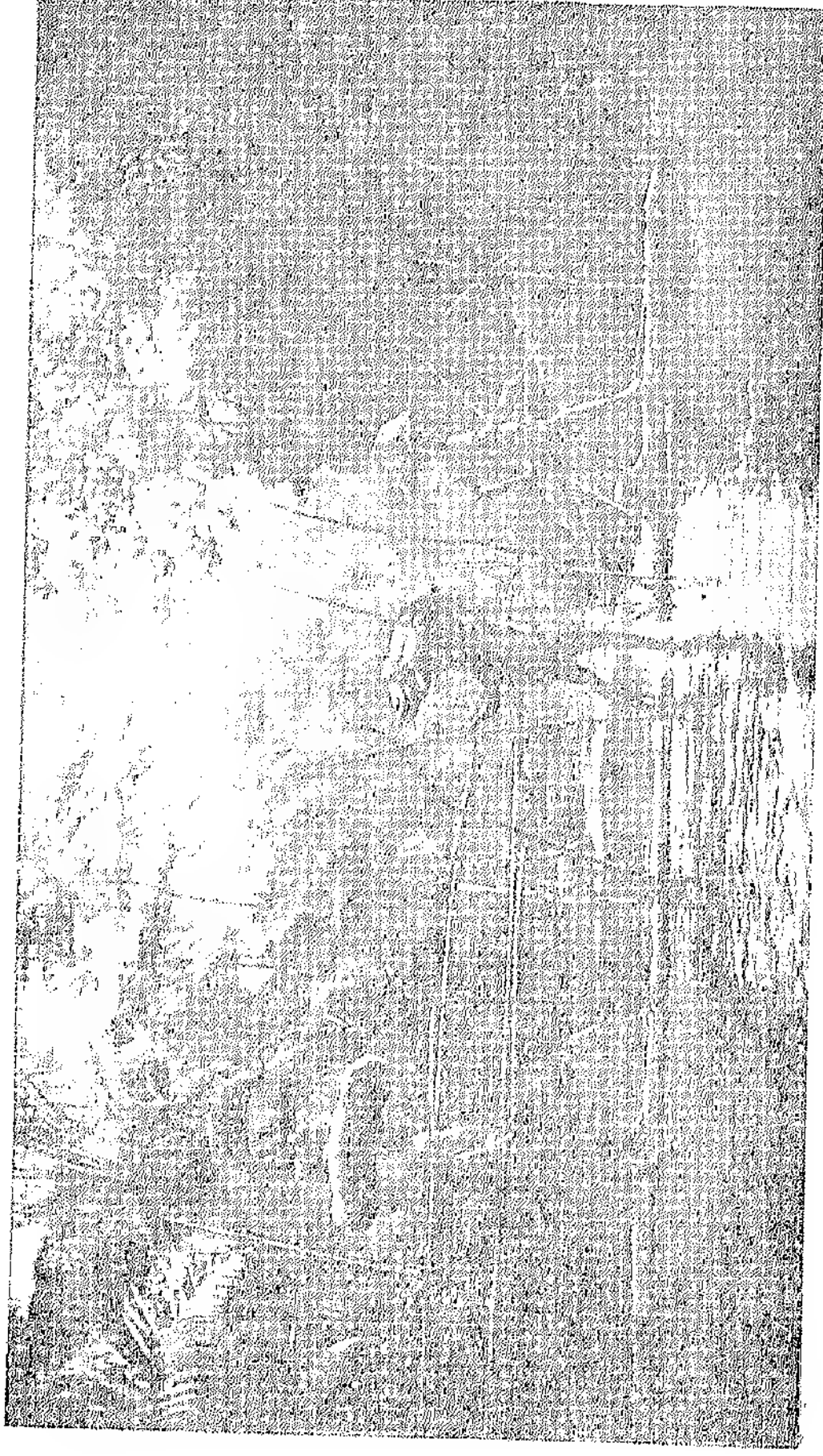
عظيمة اسمها نجاھى ، وكذلك أخبروه بأن وراء
هذه الصحراء بلادا عظيمة آهلة ، فيها كثير من
الأنهار ، أنهار لم يتسن لهم عدها .

وفى يونيه عام ١٨٤٩ سار لفتنجستون فى صحبة
انجليزيين أزلول وماراى لكشف بحيرة نجاھى .
ساروا ثلاثتهم ومعهم بعض الأدلاء الوطنيين ، حتى
وصلوا هذه البحيرة بعد شهرين كاملين عبروا خلالها
الصحراء . وفى ذلك الوقت كانت نجاھى فائضة كما
قال أولئك الأهلون ، ولكنها فى أيام الجفاف
ينضب ماؤها وتجف

وليست كالأهاري كالصحراء الكبرى ، ولو
أن تربتها جيرية بيضاء مثلها ، إذ أنها مغطاة
بالحشائش التي ترعاها كثير من الحيوانات كالغزال
والأسد ، ووحيد القرن والفيل ، وابن آوى
والفهد . وهنا وهناك يجذ الرائدُ بعضَ الآبار ، وفي
بعض الأحيان يجذ الماء في حفر هي بقايا بعض الأنهار
المنقطعة ، وإن كان سكانُ الصحراء ، من ناسٍ ومن
حيوان يعتمدون كثيرا في ارواء غُلَّتِهِمْ على البطيخ
الذي ينمو بكثرة في تلك الأنحاء .

ويسكن هذه الصحراء غيرُ قبائل البشوانا قبائل

الانتقال في قلب الغابات



أخرى من البشمان وهم قوم غلاظ متوحشون يعيشون
على الصيد ، ولا يعتمدون في طعامهم على الزراعة .
وأراد لفنجمستون أن يزور أحد رؤساء القبائل
ممن يعيشون في شمال تلك المنطقة الا أنه لم يتسن
له ذلك في تلك الرحلة . وفي العام التالي رحل مرة
أخرى الى نجاھى ، مصطحباً هذه المرة زوجته
وأولاده في عربة تجرّها الثيران وهو على ظهر
جواد . ولكنهم ما كادوا يصلون الى نجاھى
حتى أصابت أطفاله الحمى ، فلم يجد بداً من الرجوع
من حيث أتى .

الآن ذلك لم يوهن من عزم رجلٍ قوى
الشكيمة مثل لفنجستون ، اذ أنه أعاد الكرة للمرة
الثالثة ، مصطحبا عائلته وصديقه أُرُولَ ، ولكنه
في هذه المرة سار رأسا الى الشمال الى سبيتواهني ،
أحد رؤساء القبائل الذين مدّوا سلطانهم على منطقة
واسعة خصبة في قلب افريقية . وبعد مصاعب
عديدة وصل لفنجستون الى نهر شوباي حيث يسكن
سبيتواهني ، الذي سار مئة ميل لكي يستقبل
لفنجستون « الطبيب العظيم » ، وقد كان تواقدا دائما الى
رؤيته ، لما عرّف عنه من عطفٍ ورعاية لأبناء عشيرته .

ولكن سبيتواهني أُصيب بمرض ومات بعد
قليل . ولقد كان اعجابه بلفنجستون كبيرا ، ولا سيما
بزوجة لفنجستون وأطفالها ، حتى انه وهو على سرير
الموت نادى أحد خدمه وأمره أن « اذهب بروبرت
(وهو أحد أبناء لفنجستون) الى زوجتي لكي
تعطيه شيئاً من اللبن »

وبينا كان لفنجستون (ورفيقه أزول) يتبع
مجرى نهر شوباي وصل في يونيه عام ١٨٥١ الى نهر
عظيم ، وهو نهر الزنيزي . ولقد اكتشف
البرتغاليون نهر الزنيزي قبل ذلك العهد بعشرات

السنين وتتبعوا مجراه من المصب على مياه المحيط
الهندي الى مسافة بعيدة، ولكن تلك المنطقة التي
اكتشفها لفنجستون لم يزرها من قبله رجل
أيض . وكان وصول لفنجستون في فصل الجفاف
ومياه النهر على أقلها ، ومع انه كان على بعد
ألف ومئتي ميل من الشاطئ الا أن عرض النهر
كان يبلغ بضع مئات من الأمتار .

ولما كانت المنطقة بين الشوباي والزنيزي كثيرة
المستنقعات والأمراض ، ارتأى لفنجستون أن
يرسل عائلته الى إنجلترا ، لكي يكون حرا طليقا



قرية من قرى البشورانا

في رحلاته ، وللعناية بالوطنيين .

سافر لفنجستون مع عائلته الى مدينة الرأس ،
وبعد أن أبحروا الى انجلترا رجع ثانية في رحلة
طويلة الى قلب افريقية ، وبعد أن قطع ألفا وخمسمئة
ميل وصل شوباي في مايو سنة ١٨٥٣ ، فاستقبله
سيكلينو الزعيم الجديد . وكان هذا الزعيم الجديد
ابنا للزعيم السابق صديق لفنجستون الحميم ، وكان
على عهد أبيه حبا وعطفا على لفنجستون ،
حتى انه لما قرّر لفنجستون أن يعود الى كشف
الزنبيزى رافقه بنفسه في رحلته مصطحبا جمعا

كثيرا من الوطنيين في نحو ثلاثة وثلاثين قاريا ،
في منطقة لم تطأها قدم أوربي من قبل .

وكان النهر جميلا فتانا ، وكان يبلغ عرضه في
بعض الأثناء نحو الميل ، ولكن الاقليم كان
لا يصلح للحياة ، وعند ما آب لفنجستون عزم على
أن يقوم برحلة طويلة يسير فيها غربا الى المحيط
الاطلانى .

وفي نوفمبر سنة ١٨٥٣ ترك لفنجستون لنيانتي
مصحوبا بخمسة وثلاثين من الوطنيين ممن كانوا
يودون أن تصل تجارتهم الى الشاطئ . واستمرت

الجماعة في تجوالها ثلاثة أشهر ، ما بين غابات مشتبكة ،
ومستنقعات واسعة ومناطق حشيشية ، عبروا خلالها
كثيرا من الأنهار .

وأثناء هذه الرحلة التقى لفنجستون ببعض
البرتغاليين المستوطنين الذين نزحوا من الغرب وهم
يتاجرون في الرقيق وفي العاج ، كما التقى لفنجستون
كذلك ببعض زعماء القبائل ، وحدث ذات مرة أن
دعاه أحد مضيفيه ، زعيمٌ يدعى شنتو ، وكان الوقت
ليلا ، وعندما وصل الى كوخ الزعيم وجد فتاة في
العاشرة من عمرها فأشار اليها الزعيم وقال للفنجستون

« هذه هي هديتي اليك ، لأن من عادتي أن أهدي
زائري فتاة صغيرة » وما أشد دهشة الزعيم حينما
رفض لفنجستون هديته ، وما كان ليصدق أن رجلا ما
يفعل مثل ما فعل هذا الرجل الأبيض

وفي النهاية ، وفي فبراير عام ١٨٥٤ وصل
لفنجستون الى المحيط الى مدينة لواندا البرتغالية .
وصل الى هناك وهو منهوك القوى من السفر
الطويل ومن الحمى حتى إنه في آخر رحلته عجز
عن الجلوس على الثور الذي يركبه . وكم كانت دهشة
الوطنين عظيمة عندما رأوا المحيط ، وصاح أحدهم

« لقد كنا نسير مع أيدينا — ويقصد لفتنجستون —

وكنا نعتقد بما كان يقوله لنا العجائز ، ان الدنيا

ليس لها نهاية ، ولكننا عندما وصلنا الى البحر

خيل اليها أن الدنيا صاحت بنا « اني قد انتهيت —

ليس عندي من شيء جديد »

وأخذهم لفتنجستون الى سفينة حربية انجليزية

كاثت في الميناء حينذاك وجعلهم يتفقدونها ، وكان

سرورهم بذلك عظيما ، فأخذوا يقولون « انها ليست

بقارب ، انها مدينة ولكن يالها من مدينة عجيبة ،

نصعد اليها بحبل معلق »



شاللات فكتوريا

وفي كل هذه الرحلات ، لم يجد لفنجستون مكانا
يرغب في أن يستقر فيه . ولكنه في الحقيقة لم يكن
يعرف الاستقرار والهدوء ، إذ أنه بطبيعته نزاع الى
السفر والتجوال ، لهذا ليس غريبا أن يطلقوا عليه
اسم « كشاف الطرق »

بعد حين ، ترك لفنجستون لواندا ورجع ثانية
الى قلب افريقية ، ولكنه كان يسير في هذه المرة
سيرا وثيدا حتى انه لم يصل الى لنياتي الا في سبتمبر
سنة ١٨٥٥ — ولكنه لم يمكث بها الا عشرة أسابيع ،

حتى أجمع الرأي على رحلة جديدة ، وفي هذه المرة
قر قراره على أن يسير شرقا الى مصب الزنبيرى .
ولم يكد يسير أسبوعا حتى اكتشف أن مياه
النهر تسقط في هوة هائلة ، مكونة أكبر شلال
في العالم ولقد سمع لفنجستون بخبر هذه الشلالات
من بعض الوطنيين الذين كانوا يلقبونها « موزى —
أوا — تونيا » أو « صوت الدخان » وذلك أن المياه
أثناء انحدارها العظيم تُحدث هديرا هائلا ، وينبعث
منها رذاذٌ ينعقد في الجو كأنه الدخان الأبيض .
فاستقل لفنجستون قاربا وأخذ يُجذِّفُ حتى وصل

الى جزيرة صغيرة على حافة مسقط الشلال ، ولكنه
لما لم يَرَ أين يهوى الماء ، ترك القاربَ وأخذ يزحفُ
بَحِيْطَةً وحَذَرَ الى أن وصل الى طرف الجزيرة حيث
رأى المياه المنحدرة وقد استحالت في أسفل المسقط
الى بركة هائجة ، شقت طريقها بين الصخور ، حتى
بدت يضاء من شدة اندفاعها .

فدعا لفنجستون هذه الشلالات « شلالات
فكتوريا » نسبةً الى الملكة فكتوريا ، ملكة إنجلترا
اذ ذاك . وعلى ضفتي المجرى وفي أسفل الشلال ،
أقيمَ الآن جسر للسكة الحديدية ، وعلى مسافة بضع

أميال من رأس الشلال أُقيمت بلدةٌ دُعيتُ باسم رحالتنا
العظيم « لفنجستون »

ثم سار لفنجستون في اتجاه مصب الزنيزى
فوجد بعد قليل أن النهرَ صالح للملاحة ، ثم وصل
بعد ذلك بصُحبة رجاله الى منطقةٍ على النهر استوطنها
البرتغاليون وأنشأوا لهم قرى صغيرة فيها .

وقد حدث مرةً بينما كان لفنجستون وصُحبُه
سائرين على مقربةٍ من ضفاف النهر اذا بثلاث جواميسٍ
بريةٍ تندفع في صف الجمالين الوطنيين . وكان

لفنجلستون ممتطيا ظهر ثور فعدا به فجأة عند
ما أحس بالخطر . وعند ما نظر لفنجلستون الى الوراء ،
وجد رجلا من أتباعه قذف به جاموس في الهواء ،
وقد نزلت من الجاموس الدماء

ولما اتصل بالقافلة ، اكتشف أن هذا الرجل
عند ما رأى اندفاع الجاموس نحو القافلة ألقى بحمله
وطعن أحداها بحربة ، عند ذلك دار نحوه الجاموس
وحمله على قرونيه بضع أمتار قبل أن يقذف به في
الهواء . ومن العجيب أن الرجل بعد سقوطه على

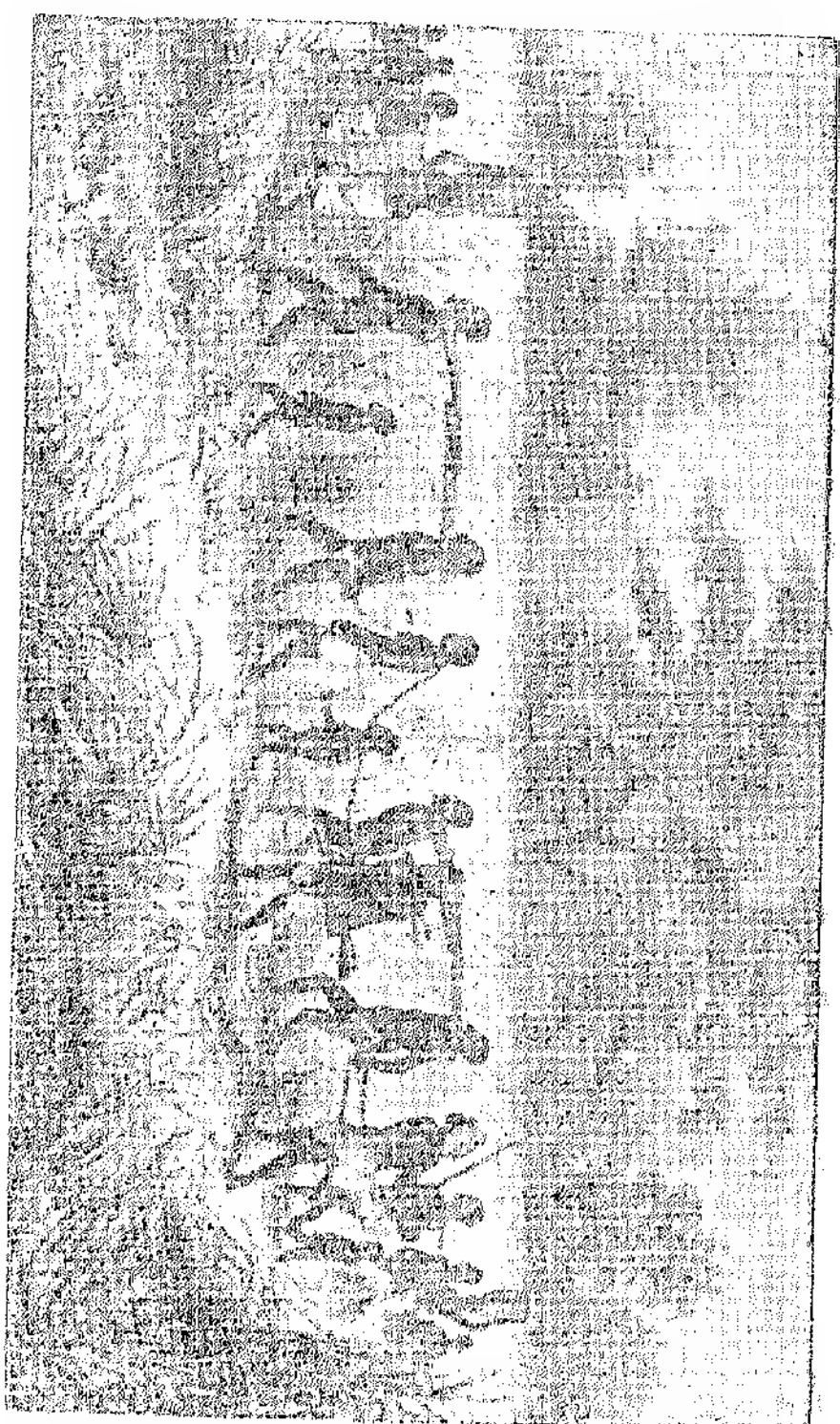
الأرض لم يُرَضَّ منه عظمٌ ولم تُخدشْ جلده قرونُ
الجاموس .

وفي مارس سنة ١٨٥٦ وصل لفتنجستون في
النهاية الى المحيط ، عند بلدة « كليماناي » البرتغالية .
فبذلك تسنى له أن يقوم بما لم يقم به رجل أوربي
قبله ، أن يعبر القارة الافريقية من المحيط الاطلنطي
غربا الى المحيط الهندي شرقا .

ولأول مرة ، بعد ست عشرة سنة يبرح
لفتنجستون افريقية الى انجلترا ، ولكنه لم يمكث

في موطنه طويلا اذ أنه قبل أن يحول عليه الحول
كان الرحالة الافريقى العظيم فى طريقه ثانية الى
القارة المظلمة .

فى هذه المرة عين لفنجستون قنصلا لانجلترا
فى جنوب وغرب افريقية ، بيد أنه لم يرجع بمفرده
اذ اصطحب أخاه شارلس ، وطيبا اسمه كرك ثم
ثلاثة من الأوربيين ، وفى مايو سنة ١٨٥٨ وصلوا
الى مصب الزنبيزى ، وفى أثناء ذلك قام لفنجستون
بعدة رحلات على ضفاف النهر ، كما أنه زار شلالات



فائده من الرقيق

فكتوريا . وزار صديقه الزعيم سكينتو
لبثت هذه البعثة ست سنوات في افريقية ،
تمكن خلالها لفنجستون من كشف شيراي وهو
نهر كبير يلتقى بنهر الزنيزى على بعد مئة ميل من
مصبه . فوجد انه ينبع من بحيرة نياسا ، التى لم
يتسن لأوربي قبله أن يزورها مع أن الكثير قد
سمع بخبرها من قبل .

وصل لفنجستون الى هذه البحيرة في سبتمبر
سنة ١٨٥٩ برفقة صديقه كرك ، وبحيرة نياسا تعد
من أكبر بحيرات العالم اذ يبلغ طولها ٣٥٠ ميلا ،
وتتفاوت عرضها بين ١٥ ، ٥٠ ميلا ، وهى عميقة جدا ،

تمتد على جانبها الجبال العالية ،

ولما وجد لفنجستون خصب هذه المنطقة التي يجري فيها شيراي وصلاحيها لسكنى الجنس الأبيض ، أرسل بمخبر كشفها الى انجلترا ، فرحل اليها كثير من المبشرين والمشتغلين بالتجارة ، وتعد الآن « نياسا لاند » احدى المستعمرات الغنية الناهضة في الامبراطورية البريطانية .

وجد لفنجستون أن تجارة الرقيق رائجة في تلك المنطقة ، وأن بعض القبائل تشن الغارات لجمع العبيد ، وعدا ذلك فان كثيرا من العرب كانوا ينزحون من الشمال خصيصا لصيد الزنوج ، وكذلك الكثير من البرتغاليين يهبطونها لهذا الغرض ، ولكنهم

كانوا يحاولون اجتناب طريق لفنجستون ، خوفاً
من أن ينشرَ أخبارَ هذه التجارة في أوروبا ، التجارة
التي حوّلت بقعة من أجل بلاد الله إلى جهنم على
الأرض ، لأنها كانت تدر عليهم الثروات الهائلة
التي كانوا يخافون أن تنقطع إذا ما انتشرت أخبارها
في أوروبا.

وفي ذات يوم التقى لفنجستون بقافلة من الرقيق
تتكون من نحو ثمانين عبداً ما بين رجل وامرأة
وطفل . ينحدرون من جانب التلال وقد غلّوا
تغليلاً مؤلماً . وكان يقود القافلة جماعة من الزنوج
حملوا البنادق وتمنطقوا بالملابس الزاهية ينفخون في



لفنجستون يواجه أحد النخاسين

الأبواق ويدقون الطبول ، وقد امتلأت قلوبهم
زهوا وخيلاء .

ولكنهم ما كادوا يامخون لفنجستون وجماعته ،

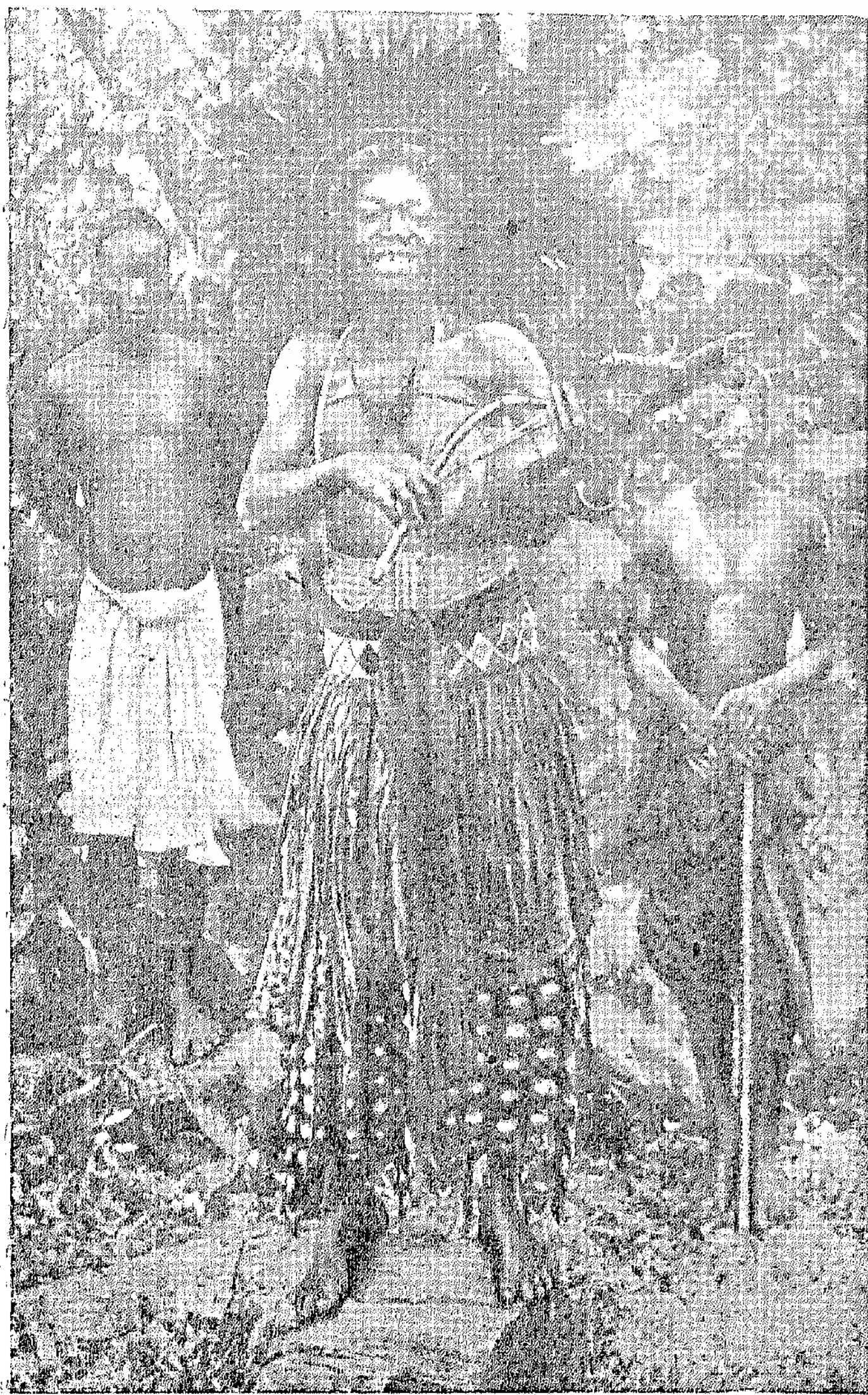
حتى حملوا رؤوسهم الى الغابة بكل ما فيهم من قوة ،
تاركين غيبتهم في يد لفنجستون ورفاقه . وما كان
أشد فرح هؤلاء المساكين ، الذين دقوا رؤوسهم
من شدة الغبطة ، وركعوا أمام لفنجستون وصحبه
ينللون أقدامهم بدموع الفرح . وسرعان ما قطع
هؤلاء القيود التي غلت بها النساء والأطفال ،
وبعض هؤلاء كان في الخامسة من عمره . بيد أنه
لم يكن يسيرا عليهم أن يطلقوا سراح الرجال
الذين قد شُدَّت رقابهم بقطع من الخشب سموت
حول العنق بقضبان من الحديد ، وكان الحظ رفيقهم
فوجدوا منشارا مع بعضهم . فبذلك خلصوا هؤلاء

المساكين من هَوْلِ الأغلالِ الوحشية .
قص هؤلاء الزوجُ قصصا مرعبةً عما حدث
لهم مع صائديهم ، فقد حدث في اليوم السابق أن
قتلوا منهم امرأتين لأنهما حاولتا فكَّ الأغلال ؛
كما قتلوا طفلا صغيرا ، لأن أمه لم تقدرُ على حمله
ورفعِ الحملِ الثقيلِ الذي معها ، وفي الوقت نفسه
قتلوا رجلا بضربةِ فأسٍ لأن التعبَ هدَّه فلم يقدر
على مواصلة السير مع القافلة .

أثارت هذه القصصُ حفيظةً لفتجستون ،
ولكنه كان حكيما عاقلا لم يُرد أن يقف في وجه
هذه التجارة بالقوة والعنف ، ولكن بتعليم

الوطنين حِرَفاً جديدة كزراعة القطن وقصب السكر
بدلاً من صيد الرقيق

بعدئذ ترك لفنجستون الجماعة ، وسار مع أخيه
شارلس وكرك بصحبته ملاحٌ أوروبى الى بحيرة
نياسا حيث قضا شهرين على مياهها فى قاربٍ صغير
ذى أربع مجاذيف يدعوهُ « جيج » وكان ذلك فى
سبتمبر سنة ١٨٦١ . وأثناء هذه الرحلة تمكن
لفنجستون من تسلق الجبال الغربية التى تُطل على
البحيرة ، وعند ما وصل الى قممها اكتشف سهولا
واسعة ممتدة رأى أنها تصلح لسكنى الأوربيين ،
بيد أنه أرجأ كشفها الى وقت آخر .



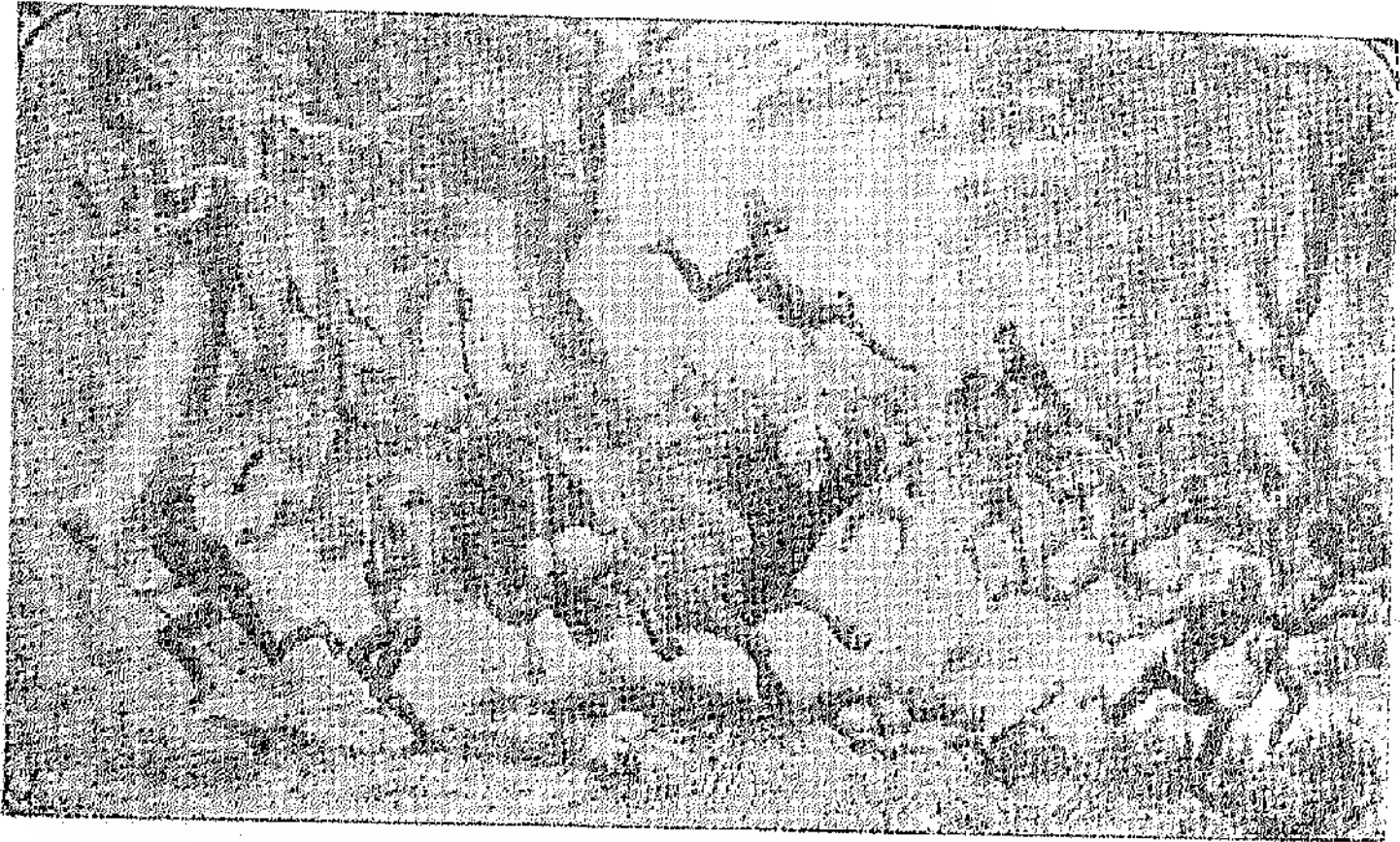
بعض قبائل البشوانا

بعد هذا آب لفنجستون الى وادى الزنيزى
بحوه الحار الماطر ليستقبل زوجته وقد جاءت برفقة
بعض المبشرات ولكن لم تطل اقامتها اذ ذاك ،
اذ سرعان ما أُصيبَتْ بالحمى وتُوفيتْ على الأثر فى
٢٧ ابريل سنة ١٨٦٢ .

رجع لفنجستون الى نياسا وبدأ كشف المنطقة
السهلية التى أرجأها من قبل ، وأراد أن يتم
كشفها ، بيد أن الحكومة البريطانية أرسلت فى
طلبه ، فلم يتمكن من اتمام ما بدأ به
وكان ذلك العهد عهد اكتشافات جغرافية
هامة ، اذ أن لفنجستون عند مارجع الى إنجلترا

في صيف عام ١٨٦٤ ، كان قد سبقه اليها رحالتان
عظيمان كان يحوسان في الوقت نفسه أنحاء أخرى
من افريقية ، وهما سبيك الذي كشف أن النيل
ينبع من بحيرة فيكتوريا نيانزا ، ويكر وهو الذي
كشف بحيرة البرت نيانزا . وكانت الفكرة رابحة
في ذلك الحين ، على أن للنيل منبعاً آخر غير هاتين
البحيرتين ، وكان لفنجستون يعتقد بهذا الرأي .

وفي عام ١٨٦٦ رَجَعَ لفنجستون الى افريقية
عازماً على القيام برحلاتٍ أخرى لكشف الأنحاء
المجهولة في القارة ، وصل لفنجستون هذه المرة الى



قطيع من الجواميس تهجم على فافلة لفنجستون

ميناء صغير في شمال مصب الزنبیزی ، وسار من ثم
الى جنوبي بحيرة نياسا ومن هناك انحرف غربا الى
تلك المنطقة التي كشفها من قبل ، حتى جاء الى
نهر اسمه شامبزی ، لا يصب في بحيرة نياسا ولا يلتقي
بنهر الزنبیزی بل يسير غربا الى حيث لا يعلم

وكان السؤال الذي ملأ رأس لفتنجستون
اذذاك ، أين يذهب هذا النهر ؟ فقضى ثلاث
سنوات ، جاس خلالها تلك المنطقة شمالا وغربا ،
حتى وصل الى الاجابة على هذا السؤال في أوائل

عام ١٨٦٥

اكتشف لفتنجستون أن هذا النهر يصب في
مستنقع فسيح ، تجاوره بحيرة عظيمة هي بحيرة
بنجويلو ، ومن الضفة الأخرى لهذا المستنقع يصب
نهر آخر يسير شمالا وينتهي ببخيرة أخرى ، هي
بحيرة مويرو ، ووجد هذا النهر يتصل بنهرات
أخرى وانه يسير شمالا وانه يدعى لويلابا .

ومع أن هذه المنطقة قد طُرِقاً من قبل بعض
الرحالة البرتغاليين ، إلا أن لفنجستون كان الأوربي
الأول الذي يكتشف هذه الأنهار وهذه البحيرات
ولقد ظن لفنجستون اذ ذاك أن لويلابا أحد فروع
النيل العليا — وهو كما نعلم أحد فروع الكونغو
الذي يُعد من أكبر أنهار العالم — نعم لقد افترض
لفنجستون فيما افترض حينذاك أن لويلابا قد يكون
من فروع الكونغو، ولكنه كان يؤمل أن يكون
من منابع النيل العليا .

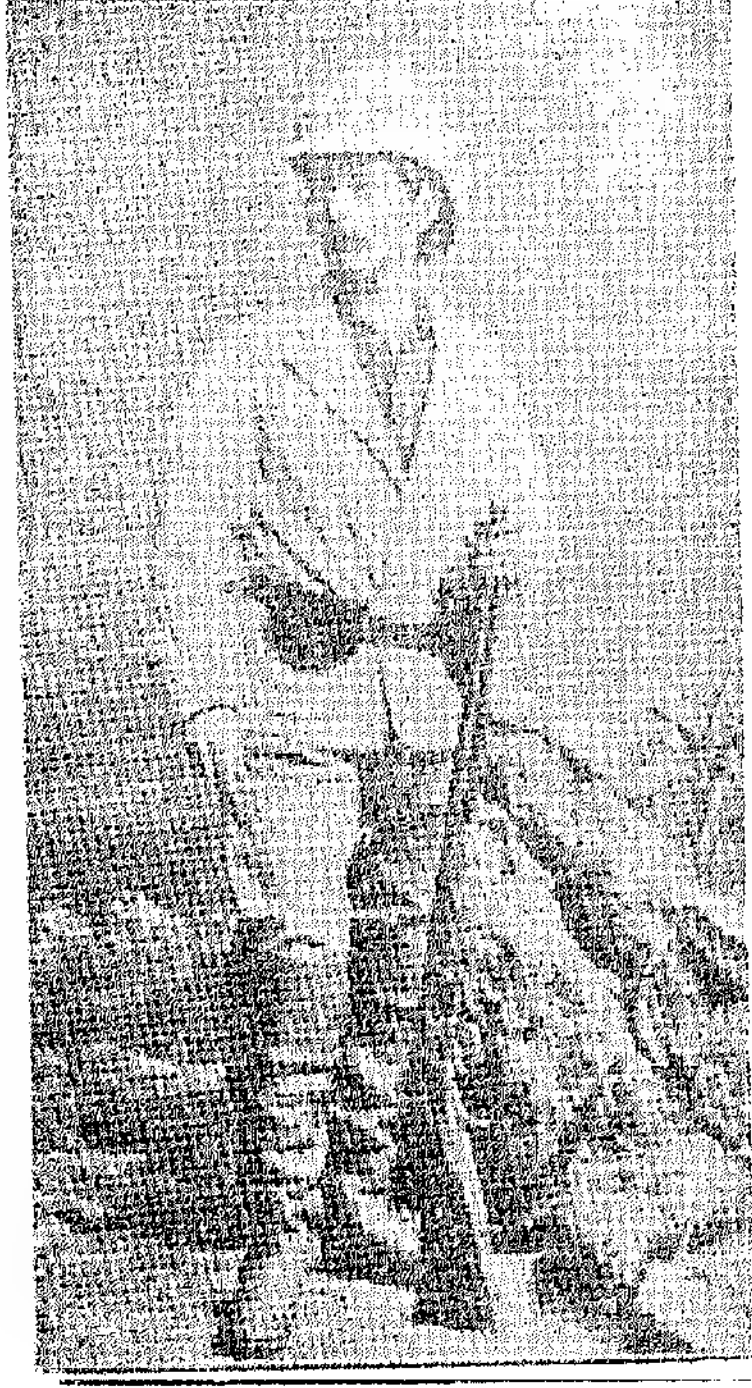
وفي هذه الرحلة لم يُرافق لفنجستون أحد من
الأوربيين ، ومع ذلك فإن رفاقه الوطنيين أخذوا

ينصرفون عنه واحداً اثر واحد ، حتى انه في نهاية
هذه الرحلة لم يكن معه الا اربع أو خمس
من الأتباع ، ولكن هؤلاء الأتباع كانوا شديدي
التحمس له والتعلق به .

لاقى لفنجستون في رحلته هذه ما كان يثير
ثأرتَه ، فقد كانت هناك جموعُ العرب الذين
كانوا يجوبون تلك المنطقة ما بين بحيرات نيّاسا
وتنجانيقا لصيد الرقيق . وقد التقى لفنجستون بكثير
من هؤلاء العرب الذين وان كانوا يعرفون مقدار
بعض لفنجستون لتجارتهم إلا أنهم كانوا يحسنون
مُعاملته .

ومن ثمَّ ذهب لـفنجستون الى يوجيجى ،
وهى بلدة صغيرة على بحيرة تنجانيقا قد وصلها
سبيك ويرتن من قبل فى عام ١٨٦٨ ، ومن هناك
سار لـفنجستون فى منطقة مأهولة بالمتوحشين الى
ليولابا ثانية .

ويتنا كان لـفنجستون ذات يوم فى بلدة اسمها
نيانجوى على النهر ، اذا بجماعة من العرب هبطوا
السوق فجأة . وسرعان ماأعملوا النار فى المجتمعين
فقتلوا بعض مئآت من الرجال والنساء والأطفال ،
زاعمين أن بعض الوطنيين قد خانهم . ولقد كان المنظر
حقا مـفـجـعا ، حتى ان لـفنجستون عند ما دون خبر

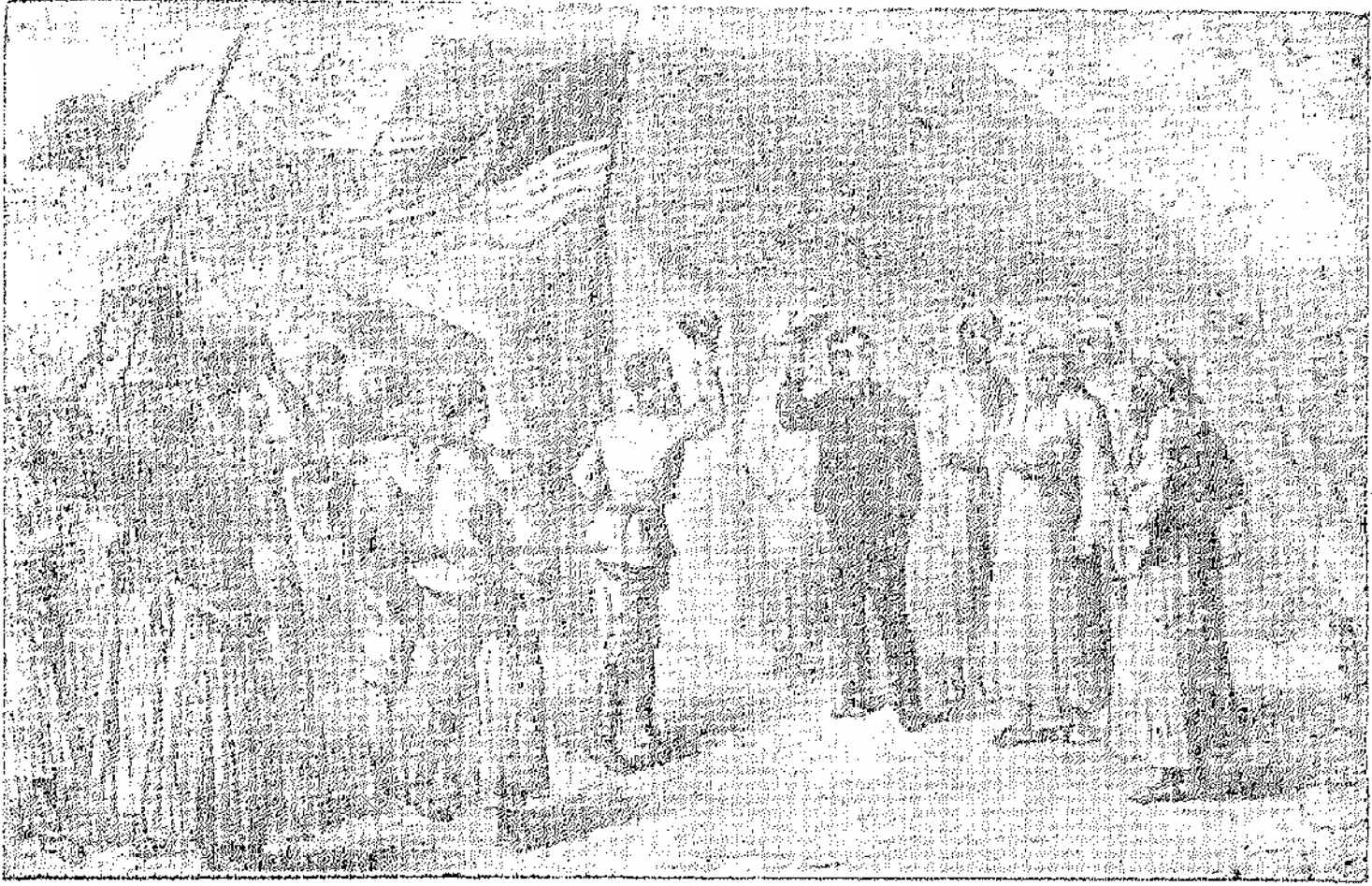


ستانلى

ذلك فى مذكراته قال بأنه كان يشعر بأنه فى جهنم
اذ ذاك ولم يمكنه ولم يمكن الوطنيين أن يفعلوا شيئاً

ولكنه عند ما كان في طريقه الى يوجيجي ،
اذا بجماعة من الوطنيين تخرج عليه من الغابة ويهاجمه ،
ولقد كان ذلك للمرة الاولى في حياة لفنجستون
أن يهاجمه أحد من الوطنيين ، ولكن ذلك كان
بطريق الخطأ اذ ظنه الوطنيون بعض جماعة العرب .
وكان الوطنيون مختبئين في غابة ملتفة ، وكانوا
يقذفون بسهامهم المسمومة على قافلة لفنجستون ،
واستمر التراشق خمس ساعات كاملة ، تبين بعدها أن
لفنجستون لم يُصَب بأذى ، ولم يجرح الا واحد من أتباعه

وصل لفنجستون يوجيجي في اكتوبر سنة



التقاء ستانلى بلفنجستون

١٨٧١ وهو متعب مريض منهوك القوى . اذ أنه
قضى الى ذلك الحين ست سنواتٍ كاملة بعد
ارتحاله من انجلترا ، وهو يتنقل بين اراض مجهولة
لم تطرق من قبل ، ولم يكن يتسنى له أن يبعث
منها رسالة الى انجلترا ، حتى ان ذلك أثار الجزع

عليه في إنجلترا وفي أمريكا بسبب انقطاع أخباره .
وفي ذلك الحين أرسل صحافي ناشئ اسمه
ستانلي للبحث عن لفنجستون ، ومن حسن الحظ أن
لفنجستون لم يكن قد أمضى أسبوعا في يوجيبي ،
حتى كان ستانلي قد وصل ذلك المكان قادما من
زنبار ، وقد حمل معه المؤن وكثيرا من المستلزمات الطبية
ولقد كانت مقابلة الرجلين الكبيرين ، من
المقابلات المشهورة في تاريخ الكشف الجغرافي
بل في تاريخ العالم . تقابل الرجلان في المدينة ،
وعند مامر ستانلي برحالتنا العظيم رفع قبعة قائلا
« أظنك ياسيدي الدكتور لفنجستون ؟ »



لفنجستون الطبيب يواسى المرضى

ولقد كان فرح لفنجستون بهذه المقابلة عظيما ، عظيما
لا يقدر . فكتب فى مذكراته « لقد رجعت الى شبيثى
للطعام ، فصرت أتناول الطعام أربع مرات فى اليوم ،
وما ان انقضى الأسبوع حتى كنت قويا معافى » .
وعند ذلك عمل لفنجستون وستانلى سويا ،
فرحلا الى شمال بحيرة تنجنيقا وطافا حولها فاكشفوا
أنها ليست متصلة بالنيل ، كما هى الحال مع بحيرة

نِياسا . وهذا ما أكد للفنجستون أن ليولابا لا بد
وأنها فرع من فروع النيل ، وبعد أن قضى ستانلى
خمسة أشهر فى صحبة لفنجستون ، رجع الى زنبار
وأبحر منها الى انجلترا ، وأرسل من زنبار الكثير
من العدة ومن المجهزات الطبية . الى لفنجستون

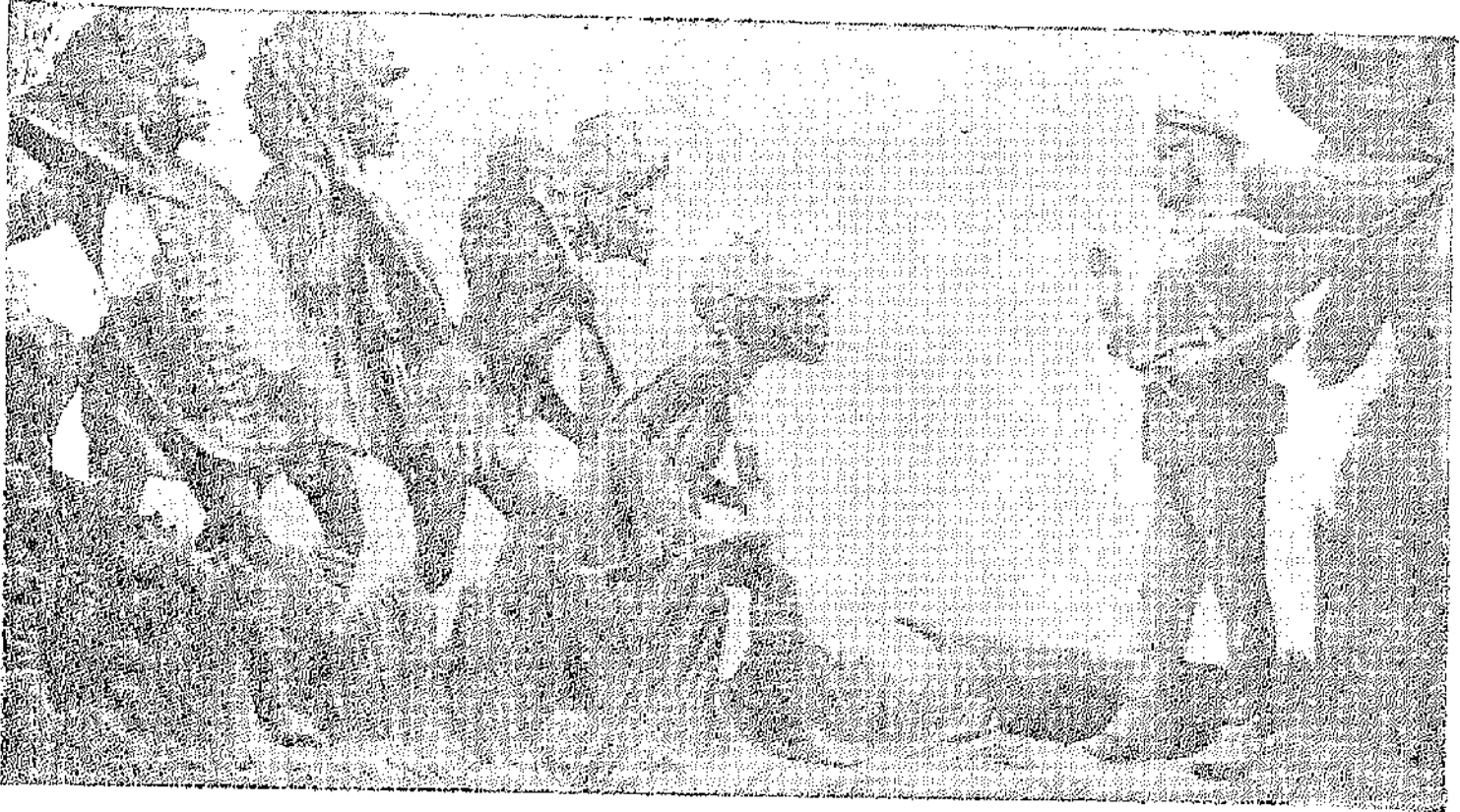
النهاية

وفى أغسطس عام ١٨٧٢ ارتحل لفنجستون
الى قلب القارة ، سائرا بحذاء الشاطئ الشرقى
لبحيرة تنجنيقا ومن ثم الى بحيرة مويرو ، مؤملا
أن يكشف منبع النيل . وكانت تلك المنطقة التى
تنقل بين أرجائها كالاستفنج مغطاة بالأوحال

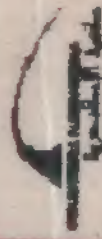
والمستنقعات ، وبالأشجار فى بعض الأحيان ،
وعدا ذلك فكانت حرارة الصيف على أشدها ،
فأصبح السفر لا يطاق ، فأصاب الاعياء والمرض
لفنجستون ، حتى ان أتباعه لم يجدوا بُدًّا من حمله
ولكنه فى النهاية ، لم يقدر على الانتقال ،
فأقيمت له خيمة صغيرة ، وفى ذات صباح — وكان
أول مايو سنة ١٨٧٣ — ذهب أتباعه اليه فوجدوه
راكما بجوار سريريه — وجدوه ميتا

هكذا كانت خاتمة لفنجستون ، انبل رواد
افريقية ، لفنجستون الذى أطلق عليه الزنوج اسم
«السيد الكبير» والذى لقبه العرب «الطيب العظيم» .

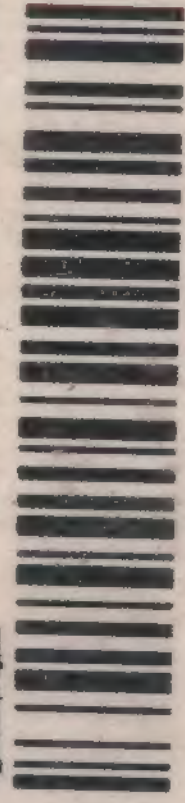
عند ذلك اجمع أتباعه المخلصون على أن يحملوا
جثته الى زنبار ، فبعد أن حنطوا الجثة بقدر ما سمحت
به معرفتهم ، وبعد أن حفروا جزع شجرة بجوار
المكان الذي مات فيه لفنجستون ، حملوا جثته الى
زنبار ، حملوها معهم مسافة لا تقل على ألف ميل ، وحملوا
منعها ما خلفه لفنجستون من مذكرات ويوميات .
ومن ثم أرسلت الجثة بطريق البحر الى إنجلترا
وفي ١٨ ابريل عام ١٨٧٤ دفنت الجثة باحتفال عظيم
في دير دستمنستر في لندن ، مدفن العظماء ، دفن
لفنجستون بجوار عظماء الانجليز وملوكهم ، بجوار
نابغهم من شعراء وأدياء ومن سياسيين ومن أمراء ،



كسب لفنجستون صداقة المتوحشين بالحب لا بالقوة
دُفن في دير وستمنستر تقديرا لعظيم من العظماء
الذين خدموا الانسانية ، وماتوا في سبيلها .
ولم تنسَ افريقيةُ جميلَ لفنجستون ، ولم تغفل
تقديره ، فقد صَحِبَ جثمانه من زنجبار الى انجلترا
بعضُ أتباعه المخلصين ، وهناك وقفوا جنباَ لجنب
مع أبناء بلده الانجليز ، وقفوا على قبر ذلك الرجل
الذى قضى حياته في افريقية وفي العمل في سبيل افريقية . .



Bibliotheca Alexandrina



0403078